



رافعة من زمن التوهج بجون



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

مخزي لريم

العدد (5216) السنة التاسعة عشرة

- الخميس (30) حزيران 2022

ثورة العشرين



عبد الرزاق الحسني: 30 حزيران ثورة إتحاد فيها كل العراقيين بوجه الاستعمار

حوار: رشيد الرماحي



هذا الحوار اجري مع المؤرخ الراحل عبد الرزاق الحسني قبل اشهر من وفاته وفيه يسلط الضوء على ذكرياته عن ثورة العشرين* قلت له.. بعد ايام تطل علينا ذكرى ثورة العشرين الرائدة فما ذكرياتك عنها؟ اجاب: الثلاثين من حزيران عام 1920 من الثورات الوطنية الكبرى ضد الاستعمار البريطاني في العراق لان الحكومات السابقة كانت تمنع الاحتفال بذكرى هذه الثورة العظيمة عند حلول ذكراها وتقوم بتوقيف كل من يتحدث عنها.



ان ثورة العشرين علمت الانكليز في العراق شعبا لا يقهر وامة لا تدين بالاحتلال او الانتداب او ما شابه ذلك. وقد استطاعت القبائل العراقية برمتها من جنوب العراق الى وسطه وشماله ان تسهم في هذه الثورات الكبرى وتكبد قوات الاحتلال البريطانية ما لا يقل عن ثلاثة الاف اصابة بين قتيل وجريح ومفقود اضافة الى الخسائر المالية التي قدرت باربعين مليون باون. ومن الخطأ (يقول الحسني) ان يورد البعض في مؤلفاتهم عن هذه الثورة انها من بنات فريق دون اخر او منطقة دون اخرى لان هذه الثورة هي ثورة كل العراقيين وشارك فيها كل الشعب من جنوبه حتى شماله وشرقه وغربه واسهمت فيها كل الادمغة النيرة في العراق من خلال توجيهاته وتضحياتها ولكن يجب القول ان العبء الاكبر للثورة تحمله الفرات الاوسط لان بداية الشرارة انطلقت من هذه المنطقة بالذات ولكن هذا لا يعني ان بقية الشعب لم يشارك فيها فقد كانت الجيوش البريطانية تصطاف في جبال كرد على بعد 250 كم عن شرق بغداد فعمدت قبائل العزة التي تسكن محافظة ديالى الى تفكيك السكك الحديدية الممتدة بين بغداد وكردن فحالت دون تمكن الجيش البريطاني من العودة الى بغداد. كما قام المرحوم جميل المدفعي بقيادة الحركات القتالية في تلغفر وعلى اطراف الموصل والشرقاط مع زملائه مما زعزعت هذه الحركات الكيان البريطاني وادت الى اضطرابه وتكبده خسائر فادحة في الارواح والاموال. واكرر انني كنت ايام الثورة في محافظة النجف مع عائلتي وكانت منطقة النجف محاطة باسوار فيها اربعة ابواب تفتح نهارا وتغلق ليلا وفي صبيحة ثورة العشرين اغلقت الابواب والطرق وعندما سمعنا بالثورة اخذنا الحماس وبدأنا نكتب المناشير ونوزعها على المواطنين وكنت في تلك الفترة



اعمل مدير تحرير جريدة الاستقلال لصاحبها المرحوم محد عبد الحسين الكاظمي وكانت هذه الجريدة تصدر في النجف مع جريدة اخرى هي (الفرات) لصاحبها المرحوم محمد باقر الشبيبي. وماذا عن خسائر الانكليز في ثورة العشرين؟ تكبد الانكليز باعتراف الجنرال هولدن قائد القوات البريطانية في العراق (2269) بين قتيل وجريح ومفقود اضافة الى اربعين مليون باون. اما ضحايا الثورة فقد قدرهم الجنرال

هولدن نفسه بثمانية آلاف شهيد مستندا بذلك الى اجازات الدفن التي كانت تجري في المدن. محطات في حياته!
× قلت للحسني.. لنتوقف عند محطات في حياتك تعز بها عليك ان تختارها؟
اجاب: تاريخ حياتي ولدت في سوق العطارين بالشورجة ببغداد سنة 1321هـ (1903) من أب وام عراقيين معروفين وعائلة تقرر الشعر وتتعاطى الادب وتمتحن (العطارة) لذا سميت

بأل العطار. × متى بدأت بالكتابة والنشر؟ ولعت بالكتابة والنشر وانا ما ازال طالبا في دار المعلمين فكنت اقتني الجرائد اليومية، والمجلات الدورية، واقتبس منها بعض الكلمات والعبارات الملائمة، لانني خبيرا محليا او نتفة ادبية، او قطعة شعرية، وكانت جريدة المفيد لصاحبها المرحوم ابراهيم حلمي العمر تنشر لي هذه الاخبار والنتف، تطلقا منها وتشجيعا، وما لبثت ان وضعت رسالة موجزة بعنوان المعلومات المدنية لطالاب المدارس العراقية استعنت على وضعها بما تيسر لدي من الكتب المدرسية المشابهة. وكان لاستاذ التاريخ في دار المعلمين العلامة الانثاري المغفور له عبد اللطيف الفلاح، مطبعة معروفة اسمها مطبعة الفلاح فراجعته لطبع هذه الرسالة وانا به يشجعني على المضي في هذا التتبع المفيد، ويتبرع بكلفة الطبع متى يسرت له الورق، وكان عدد ما يطبع من الكتب يومئذ لا يتجاوز الخمسمئة نسخة عدا، شأن الصحف الادبية والمجلات الشهرية يومذاك، فكان من الطبيعي ان اهيب الورق لرسالة لا يتجاوز عدد صفحاتها 56 صفحة بقطع الثمن، وهكذا اصبحت مؤلفا معروفا. × وما عدد المؤلفات التي انجزتها حتى الآن؟ ثلاثون كتابا انجزتها خلال ثلاث وستين سنة. × لا شك ان ابرزها (تاريخ الوزارات العراقية). × نعم وقد بدأت علاقتي بهذه السلسلة عام 1952 حين جرت انتخابات رئاسة المجلس النيابي وكان عبد المحسن السعدون يرأس الوزارة للمرة الثانية فرشح وزيره حكمت سليمان لرئاسة المجلس غير ان المعارضة المتمثلة بياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني ومحمد رضا الشبيبي استطاعت ان تنتخب رشيد عالي الكيلاني لرئاسة المجلس فكان طبيعيا ان يستقيل عبد المحسن السعدون ووزارته وتؤلف وزارة جديدة حسب الطرق الدستورية. وعندئذ طلب لي ان اكتب مقالا عن كيفية تأليف الوزارات والمهام التي تقوم بها والظروف التي تؤدي الى استقالتها ونشرت المقال في مجلة (العرفان) التي تصدر بصيدا في لبنان ومنذ ذلك الوقت قررت تأليف كتاب عنوانه (تاريخ الوزارات العراقية) وقد تم نشره باجزاء متسلسلة غطت تاريخ العهد الملكي منذ انبثاقه في 23/أب/1921 حتى انقراضه في 14 تموز 1958 وقد طبع الكتاب عدة طبعات كلها نفدت وتحتاج الى طبعات جديدة.

وكتاب عن الثورة العراقية الكبرى سنة 1920 - لقد بذلت كثيرا في كتابة هذا الكتاب الجامع المانع لاحداث ثورة العشرين من مهادتها الى انتهاؤها وما تمخضت به من نتائج جسيمة في تاريخنا الحديث. لقد اتصلت منذ وقت مبكر منذ اوائل الثلاثينيات بزعماء الثورة من علماء الدين ورؤساء العشائر والمتقنين في بغداد والنجف وكربلاء وغيرها لكي اصل الى الحقيقة بكل حيادية كاملة، فتوصلت الى نتائج كثيرة استعان بها الكتاب فيما بعد. لقد بحثت عن قضية خطيرة اشاعها بعض الكتاب ومنهم البريطانيون من الثورة كانت تاتيها الاموال من الخارج، وهذا ما نقضته بما اتصلت بهم من رجال الثورة او الشخصيات العامة. كما اني اول من فصل الحديث عن ارضاصات الثورة وتقجراها في بغداد والنجف وكربلاء قبل ان تندلع الثورة بشكلها المسلح في الرميثة في الثلاثين من حزيران 1920.

محمد باقر الحلي

الشاعر الذي ألهب رجال الفرات الاوسط في الثورة



رفعة عبد الرزاق محمد

واستعادوها مرات عديدة، وبعد هذا الاجتماع شعر السيد محمد باقر الحلي ان السلطة له بالمرصاد فأثر الهرب الى منطقة المشخاب والتجأ لدى السيد علوان الياسري الشخصية الوطنية والعشائرية الكبيرة الذي رحب به وكرمه واسكنه في منطقة تدعى (ام رجلة) ففتح فيها مدرسة لتعليم ابنائها وكان من سرور السيد علوان الياسري ان سجل فيها ابنه عبد الحميد الياسري.

ويبدو ان صلته بالحركة الوطنية في النجف لم تنقطع ويذكر السيد محمد علي كمال الدين في مذكراته ان الحلي كان مندوباً عن المكتب الوطني النجفي في منطقة المشخاب وفي اثناء وجوده في كنف السيد علوان الياسري بدأت مقدمات الثورة العراقية سنة 1920 وسنذكر موقفه بعد قليل.

وبعد القضاء على الثورة وانتهاء حركاتها العسكرية هرب الكثيرون ممن اشتركوا في الثورة من زعماء وادباء وعلماء دين فكان محمد باقر من جملة من هرب الى (المحمرة) غير انه ما لبث ان عاد الى البصرة متخفياً بأسم مستعار وعمل في التعليم، وبعد صدور العفو العام عن المشتركين بالثورة غادر البصرة الى بغداد وعين معلماً في المدرسة الجعفرية الاهلية والتحق في الوقت نفسه بمدرسة الحقوق وتخرج فيها عام 1925.

وأصدر في 7 ايلول 1924، جريدة (الأدب) وهي جريدة انتقادية أدبية تصدر في الاسبوع مرة ثم صدر منها عدنان آخران وتوقفت من تلقاء نفسها. وفي 6 شباط 1925 اعاد الحلي اصدارها وكان السيد كامل السامرائي محررها ومديرها المسؤول لكنها لم تعش طويلاً وتوارت عن الانظار.

لقد أنطقت جنوة الحماس لدى السيد محمد باقر الحلي بمرور الزمن حتى لنجد خطبه في المجلس النيابي وقد أنتخب نائباً عن الحلة (حزيران 1939-1943) قد ضعف فيها الاندفاع الوطني بل وقف بعض المواقف التي قد تحسب عليه ولم يكن ذلك بدعاً فقد وجدنا الكثير ممن شارك في الحركة الوطنية في عهدها الاول قد انتهى الامر به الى مواقف مترددة وضعيفة غير ان نشاطهم الوطني في عهد التأسيس في ظروف صعبة وحرجة لا تنسى ابداً.

وعندما تداول مجلس النواب قضية تعديل الدستور بحيث يمنح الملك سلطة إقالة الوزارة وهو المقترح الذي قدمه نوري السعيد الى المجلس بعد انتهاء حركة مايس 1941 وهو الامر الذي ينطوي على اعتداء على سلطة المجلس النيابي باعتبار أن الوزارة مسؤولة امامه وحده. لم يكتب بعض النواب بذلك بل اعترضوا على المقترح ورأوا ان تكون سلطة الملك مطلقة لا يقيد بها وكان السيد محمد باقر من هؤلاء النواب. وفي عام 1943 لم تجدد نيابته فعاد الى المحاماة كما أصبح عضواً في غرفة زراعة الحلة. واستقر في الحلة الى ان توفي في 27 كانون الثاني 1961 ودفن في مقبرة النجف. وهو شقيق الاثاري

خذا حذرکم منهم فقد أخذوا الحذرا
يريدون منكم بالوعود مكيدة وبيغون ان حانت
بكم فرصة غدرا
فلا يخذعنكم لينهم وتذكروا اضليلهم في الهند
والكذب في مصرا

يخوض عباب البحر من الدرا
ويلق ضلال الليل من عشق الزهرا
ومن مات دون الحق العلق واضح
اذا لم ينل فخراً فقد ربح العذرا

ثم خاطب الشاعر زعماء الخزاعل: يا زعماء
الخرزاعل ان قبيلتكم كانت تسمى خزاعة وقد
دخلت في بيعة النبي الكريم وكان الحلف بين
النبي وقريش الا يؤذوا من حالفتها وحين
تعرضت خزاعة لأذى قريش قال النبي: لا
ينصرنني ربي ان لم أنصر خزاعة. فجيش
جوشه على مكة حتى تم له فتحها.. وانتم يا
زعماء الخزاعل انتصركم النبي وغضب لا
جلکم. فمتى تنتصرون له؟ اما ان لكم ان تنصروا
محمداً؟..

وعندما استتارت حمية الحاضرين ونهضوا
يهزجون بالهوسات بحضور ممثلي السلطة
المحتلة الذين اسرعوا الى ترك المكان.

ويقول محمد علي كمال الدين ان قصيدة محمد
الباقر الحلي وخطبه الرائعة هي الشرارة التي
اندلعت منها تيران الثورة مان موقفه الحماسي
الجسور دوي هائل في البلاد ولا سيما لدى
القبائل التي أخذت تتحدث عن قصيدته خطابه.
وقد جعلها الزعماء من بداية الثورة في الشامية.
ومن الطريف ذكره هنا ان محمد باقر الحلي لم
يكن مدعوا الى ذلك الاجتماع الخطير وانما دس
نفسه دساً على غير رغبة المجتمعين من الرؤساء
فعندما شعر انه سوف يحرم من حضور الاجتماع
تظاهر امام تلميذه السيد عبد الحميد الياسري
نجل السيد علوان الياسري لانه يحسن اللغة
الانكليزية ثم انشد له نشيداً ادعى انه بالانكليزية
وقسر بقوله ان الانكليز يدعون انهم سادة البر
والبحر وانهم نزلوا من السماء ولا يمكن لأمة
استعبدها ان تتخلص من برانثهم. وصور
الباقر الحلي التشديد بشكل مؤثر فابكى تلميذه .
وعند ذلك عرض عليه ان في امكانه المشاركة في
تخليص البلاد من الانكليز بان يرجو اياه ان
يحضر هو واستأذنه اجتماع الزعماء فتوسل
عبد الحميد الى ابيه باكباً فرضخ السيد علوان
الياسري لتوسلات ابنه واخذه مع استاذته الى
الاجتماع.

الكبير طه باقر. وذكر الاستاذ سالم الألويسي في
كلمة له ان مؤرخ الحلة الشيخ يوسف كركوش
الحلي كان يلح على السيد محمد باقر بوجوب
جمع ديوانه وكتابه مذكراته عن الثورة وكان
جوابه انه يسعى الى ذلك.

موقفه في ثورة 1920
ذكر عدد من مؤرخي الثورة العراقية عام 1920
انه بعد ان القت السلطة المحتلة القبض على
السيد محمد رضا نجل المرجع الديني الكبير
الميرزا الشيرازي بدأ نشاط زعماء منطقة
الشامية بعقد مؤتمرات المذاكرة ول الموقف من
السلطة. فأجتمع الزعماء يوم 25 حزيران 1920
عند الشيخ عبد الواحد الحاج سكر وهم السيد
علوان الياسري والسيد هادي زوين وغيرهما.

وكان السيد محمد باقر الحلي أتياً من كربلاء
فأراد من وجه السبطة بعد القاء القبض على ابن
الشيرازي فارسه (مكتب الثورة) في النجف
الى الشامية لتخريص زعمائها فاجتمع بهم في
مجلس الحاج سكر المذكور. وحدثهم عن الموقف
وقرأ لهم جريدة كانت معه. فاذا بالشيخ علي
المزعل رئيس عشيرة الغزالات يقاطعه: يا حضرة
السيد محمد الباقر انت تقرا لنا حوادث الاجانب
واخبارهم واعمالهم ونحن نريد الان بدورنا ان
يقرا الاجانب حوادثنا واخبارنا. فقطع الحلي
قراءته وانبرى السيد علوان الياسري قائلاً: ان
الكأس قد امتلأ ولا بد ان ينسكب ماؤه.

وعقب هذا الاجتماع كثرت المراسلات بين زعماء
العشائر من المسيب الى الرميثة فعدوا مؤتمرا
كبيراً في مضييف الشيخ الحاج رايح العطية
ضم جميع رؤساء عشيرة الخزاعل (اسماؤهم
مذكورة في كتب تاريخ الثورة). كما حضر
الكابت (هوبكنز) ممثلاً عن الحكومة. وقد طلب
منهم الحضور الى منطقة ابو صخر. فرفض
الجميع وقالوا: انهم لا يأمنون على انفسهم بعد
اعتقال ابن الشيرازي. وطلبوا من ممثل الحكومة
المحتلة تبليغ الحاكم السياسي ان يجتمع بهم اذا
شاء في المشخاب.

وبعد يومين او ثلاثة اجتمع الرؤساء لدى عبد
الكاظم الحاج سكر. وحضر الاجتماع الحاكم
السياسي للشامية والنجف وحاكم ابو صخر.
وحدث ما لم يكن في الحسبان، فما ان التأم
المجلس حتى صعد السيد محمد باقر الحلي المنبر
المنصوب في المضييف بدون استئذان. وانشد
قصيدته الشهيرة ومنها.

بني يعرب لا تأمنوا للعدا مكر

مؤرخو الثورة العراقية الكبرى سنة 1920

قراءة في مذكرات الشيخ صلال الموح

د. عبد الجبار المنديل



بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٩م واتمام احتلال العراق من قبل الجيش الإنكليزي المحتل شرعت السلطات المحتلة بتعيين حكام سياسيين من بين ضباط الجيش، وقد أساء هؤلاء الحكام العسكريين معاملة العشائر ورؤسائها وسعوا بكل السبل الى اذلال هذه العشائر. وكان من نصيب منطقة الديوانية الحاكم السياسي (الميجر ويلي).

كانت منطقة الديوانية العشائرية الكبيرة تعد انذاك من اكبر مناطق العراق حيث تضم عشائر كبيرة ومدن مهمة مثل السماوة والشامية وعفك والرميثة وارض زراعية واسعة تمتد من جنوب الحلة وحتى الناصرية وتعيش فيها عشائر كبيرة ومتمرسه على المعارك وتتقن مختلف فنون القتال مثل الأكرع والغانم والاحمد وعفك وال بدير والسعيد وزبيد والخزاعل وبني جحيم والظوالم وال ازيريج وبني عارض والبوحان وغيرهم. سعى الحكام السياسي للديوانية الى اذلال العشائر ورؤسائها بشتى الوسائل والأساليب ومن هذه الأساليب مثلاً منع رجال العشائر من دخول المدينة على ظهور الخيل حيث انه على الفارس ان يترجل عن فرسه ويدخل المدينة راجلاً وكذلك اخذ يسخرهم لمختلف اعمال السخرة الأمر الذي حدا بالشيوخ الى مقاطعته وعلان تمردهم على الحاكم الطاغية. ولكن من اجل التكتيل بهم وتحطيم كبرياتهم بعث الحاكم السياسي عدة رسائل الى رؤساء العشائر مع سيارات عسكرية. الرسالة الأولى بعثها الى الشيخ الحاج مخيف ال محمد رئيس ال غانم وهو خال صلال الموح وقد اعتقلوه واتوا به مع حراسة مشددة وتم تسفيره فوراً الى البصرة ومنها نفي الى جزيرة (هنجام)

في الهند، والثانية الى الشيخ شعلان العطية رئيس الأكرع ووضع في السجن، والثالثة الى الشيخ سعدون الرسن رئيس ال احمد الذي لم يحضر وذهب الى جهة الرميثة، والرابعة الى الحاج مظهر الصكب شيخ عشيرة السعيد الذي خرج الى الجزيرة ولم يحضر، والخامسة الى الشيخ شعلان ابو الجون في الرميثة رئيس عشيرة الظوالم الذي وضع في سجن الرميثة ومعه سعدون الرسن، وعندما بعث ابو الجون برسائلته المعروفة الى ابناء العشيرة يطلب فيها عشر ليرات ذهبية صاغ (اصلية) وفهم ابناء العشيرة مضمون الرسالة التي يطلب فيها عشرة رجال شجعان لإخراجه من السجن. وبالفعل هجم هؤلاء الرجال على السجن وأخرجوه مع الشيخ سعدون الرسن. وتلك كانت الشرارة الأولى لإندلاع ثورة العشرين. توجه الشيخ سعدون الرسن الى اهله حيث جمع عشيرة ال حمد والعشائر المتحالفة معها وتوجهوا الى منطقة غربي الديوانية واحتلوا بها فيها منطقة الجدول. اما الشيخ صلال الموح فقد جمع عشائر عفك وهاجموا سراي الحكومة في عفك واحتلوه وهرب الحاكم السياسي لعفك (الكابتن ويب). وفي ذلك الوقت كانت عشائر الرميثة والسماوة



احتلت العشائر مدينة الديوانية بعد اخلائها من الجيش الإنكليزي، وفي اثناء ذلك كانت جيوش العشائر قد تكاملت وبدأت بمطاردة الجيش المنسحب حيث كانوا يطاردون القطار على ظهور الخيل ويقلعون السكك الحديدية مما شكل مصاعب هائلة للجيش. اضافة الى الغارات الليلية والنهارية التي لا تنقطع على ارتاله. وفي اثناء ذلك كان السيد الحسيني قاطع العوادي يتجول بين العشائر يحثها على الجهاد ويثير فيها النخوة العربية.

توجه صلال الموح مع شعلان العطية الى عشائر البو سلطان في الحلة من اجل ان يشتركوا في القتال، وبالفعل انضم للثوار عداي الجريان ولهيصم والبرك. وهكذا اتسعت الثورة لتشمل كل عشائر الحلة. وعلى رغم القصف المدفعي وقصف الطائرات الذي كان شديداً جديداً في الحروب فقد زحف الجيش العشائري ليحاصر مدينة الحلة حيث احاطت بالصوب الشرقي عشائر عفك والأكرع وال بدير والسعيد وال بو سلطان والمعامرة والجيش والعزة في حين احاطت بالصوب الغربي عشائر الجبور وال فتلة وخفاجة وبني حسن اضافة الى عشائر الشامية التي التحقت بالثوار بعد انتصارها في معركة (الرارنجية).

وفي ذلك الوقت الحرج من عمر الثورة بدأت الخيانة تطل برئسها، فقد وصلت الى الشيخ صلال الموح رسالة من الشيخ عجيل السمرمد شيخ زبيد في الصويرة يخبره فيها بان احد رؤساء العشائر قرر ان يدس له السم خلال دعوة غداء لذلك فإن عليه ان يكون حذراً، ولما علم قادة الثوار بذلك ارسلوا بعض رجالهم واحرقوا مضيف الشيخ الخائن.

بعد اشتداد الحصار على الحلة سعى الإنكليز شق وحدة الثوار وزرع الفرقة بينهم فأخذوا يرسلون معتمديهم الى كل شيخ على انفراد لإغرائه بمختلف الوعود لتترك الثورة وقد نجحت الخطة مع الكثيرين ولكنها فشلت مع صلال واخوانه. وهكذا تشتت شمل الثوار واضطرت العشائر الثابتة على موقفها الى الانسحاب تحت وابل قصف الطائرات الإنكليزية التي لاحقتهم حتى مناطقهم حيث قتل القصف بعض النساء والأطفال بعد قصف البيوت.

اضطر من بقي من الثوار ترك العراق والهجرة الى الحجاز ومنهم السيد جعفر ابو التمن والسيد نور الياسري وصال الموح وشقيقه مهدي الفاضل والسيد هادي المكوطر والسيد محسن ابو طبيخ وعلوان السعدون رئيس بني حسن ومرزوك العواد رئيس العوابد والحاج رايح العطية رئيس الحميدات وشعلان الجبر رئيس ال ابراهيم. وصل الثوار الى مدينة حائل في نجد حيث استقبلهم عبد العزيز رشيد امير شمر وقد اقاموا لديه عدة اشهر رحلوا بعدها الى الحجاز مع وفود من قبل ابن رشيد، وصلوا الحجاز واقاموا في مكة لدى الملك حسين ملك الحجاز وبقوا هناك الى ان عقد مؤتمر القاهرة برئاسة تشرشل حيث تقرر انشاء مملكة العراق وتنصيب عبد الله بن الحسين ملكاً عليها ولكن بعد ان طرد الفرنسيون الملك فيصل بن الحسين من سوريا قرر الإنكليز ان يكون فيصل ملكاً للعراق وعبد الله اميراً لإمارة شرق الأردن. وهكذا عاد الثوار مع الملك فيصل الأول بالباخرة عن طريق البصرة بعد تأسيس الحكومة العراقية المؤقتة برئاسة عبد الرحمن النقيب وصدور قرار العفو عنهم

مؤرخو الثورة العراقية 1920

د. عبدالله حميد العتابي



تعدُّ ثورة العشرين من أبرز الأحداث في تاريخ العراق المعاصر، ويمكن القول إنَّ أحداثها تؤلِّف مرحلة قائمة بذاتها إلى حد كبير، كما أنها تمثل انطلاقة لمرحلة جديدة، لا سيما أنَّ نتائج أحداثها أثرت بشكل واضح في الحياة الفكرية والسياسية، وهي في الوقت نفسه منعطف تاريخي وسياسي واجتماعي بالنسبة للشعب العراقي، وبداية التأسيس للدولة العراقية المعاصرة، ولعلنا لا نبالغ إذا ما قلنا إنها أهم حدث تاريخي منذ سقوط بغداد على يد المغول في العام 1258، وما تبعه من موجات غزو واحتلال متلاحقة امتدت عبر قرون طويلة.

هذه الأهمية لثورة العشرين تنبع من الظروف التي أحاطت بالثورة ورافقت اندلاعها ومن النتائج التي انعكست على مستقبل العراق دولة وشعباً، وفي ضوء ذلك، حظيت الثورة باهتمام واسع من لدن الباحثين في العراق وخارجه. وتصدت دراسات علمية كثيرة لجوانب متعددة من الثورة، واختلف المؤرخون في تفسير العامل المؤثر في الثورة، ففي حين عدَّ البعض أنَّ شيوخ عشائر الفرات الأوسط كان العامل المحرك للثورة، واعتقد المؤرخ الأجنبي أنَّ الفلاحين كانوا وقود الثورة وأساس هياكلها، في حين رأى آخرون أنَّ المرجعية الدينية كانت القائد الفعلي للثورة، وأنَّ الفتاوى التي صدرت من كربلاء المقدسة أعطت الشرعية للثورة، وراح البعض ينسب لفئة الأندلسية قيادة الحراك الشعبي قبل الثورة.

ونسب بعض المؤرخين لمدنهم الدور الأكبر في الثورة. وهكذا يمكن أن نلاحظ الاختلاف في تقييم حدث محوري من التاريخ العراقي المعاصر بين كونه ثورة إسلامية أو ثورة وطنية أو ثورة قومية.

في الكتب البريطانية أبرز من كتب عن الثورة العراقية من الناحية الوثائقية وتعبيراً عن وجهة النظر البريطانية، هما: السير أيلمر هولدين القائد العام للقوات البريطانية عند نشوب الثورة، وArnold Wilson وكيل الحاكم الملكي العام، وكان هولدين المسؤول عن قمع الثورة والقضاء عليها بقوة السلاح، ويصف في كتابه الموسوم (ثورة العراق 1920)، الذي ترجمه فؤاد جميل وصدر في العام 1965 في بغداد وقائع الثورة وميادينها ويشير إلى الحركات العسكرية التي جرت بسببها والتدابير القمعية التي اتخذت للقضاء عليها، ودافع في الكتاب عن نفسه، ووضع اللوم بدوره على إدارة الاحتلال المدنية وسوء تصرفها، ويعزو جانباً من التقصير الحاصل في إدارة البلاد إلى الحكام السياسيين ورئيسهم ولسن، وكان معظمهم عديم الخبرة، وصغير السن.

ولنذكر لك يكن القائد العام نفسه بعباً

بأرائهم. أما كتاب ارنولد ولسن وكيل الحاكم الملكي العام في عهد الاحتلال البريطاني الموسوم (الثورة العراقية) الذي ترجمه وعلق عليه جعفر الخياط وصدر في بغداد العام 1971 فتطرق ولسن إلى مقدمات الثورة وأسبابها ووقائعها وميادينها وجميع ما يختص بها بوصفه المسؤول الأول في البلاد حين وقوعها.

ويلاحظ في فصول الكتاب دفاع ولسن المستميت عن أعماله وتصرفاته ووضع اللوم في اندلاع الثورة وأعمال العنف وفي التقصير الذي حصل على عاتق غيره، فهو يندمراً أولاً من الأوضاع العامة التي تسود العراق يومذاك، ومن الإمكانيات المحدودة للإدارة المدنية، والبدء بتسريح الجيش عقب نهاية الحرب العالمية الأولى ويهاجم القائد العام، ويشير إلى عجزه وتقدمه في السن وإلى إهماله كثيراً من الأمور، ويلوم دوائر وزارة الخارجية البريطانية ووزارة الهند لإهمالها البت في أمر الولايات العراقية. ويؤكد على تأثير البلاشفة في الحركة الوطنية في العراق ويهاجم الضباط العراقيين في الجيش الشريفي وما فعلوه في دير الزور وتلعفر. ولم ينس أن يربط الصوم بأمزجة الحركة الوطنية العراقية خلال شهر رمضان المبارك.

بأقلام عراقية

اعتقد بعض المؤرخين بالدور الريادي لعلماء الحوزة في تفجير الثورة واندلاعها، ويستشهدون بالفتوى التي أصدرها الشيرازي بعدم جواز إمارة غير المسلم على المسلم. وأهم الكتب والرسائل والبحوث التي أكدت على دور رجال الدين في الثورة: (سليم الحسين، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار 1900-1920، عبدالحسين الحلي، شيخ الشريعة: وقيامه في الثورة العراقية الكبرى 1920 ووثائقه السياسية تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري، بيروت، 2005، إخلاص لفئة حرين، موقف الحوزة العلمية في النجف الأشرف من التطورات السياسية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2005، عادل الياسري، جهاد السيد نور الياسري في ثورة العراق التحررية 1920 وصناعة الوطنية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، علاء عباك نعجة، محمد تقي الشيرازي الحائري

كمال، معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية لسنة 1920، بغداد، 1971، صفحات من مذكرات السيد سعيد كمال الدين: أحد رجال الثورة العراقية، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري مطبعة العاني، بغداد، 1987، مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، 1986، كاظم الدجيلي، أحداث ثورة العشرين كما يرويها شاهد عيان، تحقيق حكمت رحمان، مطبعة الزمان، بغداد، 1973، مذكرات الحاج عبد الرسول تويج: من رجال الثورة العراقية 1920، مطبعة العاني، بغداد، 1987، محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، مطبعة التضامن، بغداد، 1971، كاطع العوادي، مذكرات كاطع العوادي: أحد رجال ثورة العشرين، تقديم وتعليق كامل سلمان الجبوري، مطبعة العاني، 1987، جعفر الخليلي، على الثورة الكبرى، بغداد (1952).

رؤساء العشائر

كان لعشائر الفرات الأوسط ورؤسائها دورٌ لا يمكن نكرانه، وقد أرخ البعض لتلك المواقف وأبرز تلك الكتب: (فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية لسنة 1920 ونتائجها، بغداد 1952، عبد الشهيد الباسري، البطولة في ثورة العشرين، النجف 1966، كاظم المظفر، ثورة العراق التحررية عام 1920، مطبعة الاداب، النجف 1972، هيفاء الهيمص، الدور الوطني لعشيرة البو سلطان في ثورة العشرين، رسالة ماجستير، جامعة بابل).

صحافة الثورة كانت تجربة صحافة ثورة العشرين فريدة من نوعها، فعلى الرغم من محدودية أعداد جرائد الثورة، لكنها نالت نصيباً كبيراً من الدراسة والتحليل، وأبرز تلك الدراسات: يعقوب يوسف كوربا، صحافة ثورة العشرين، مطبعة السدي، بغداد 1970، عبد الرسول حسين وعدنان حسين، صحافة ثورة العشرين وموقف صحف بغداد من الثورة، بغداد 1970، صالح عباس الطائي، ثورة العشرين في صحيفة نيويورك تايمز الأميركية، فارس محمود الجبوري، وقائع ثورة العشرين في ضوء مواد صحيفة العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت 2002..

وبدوره السياسي في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق 1918-1920، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل، كلية التربية 2005، باسم أحمد هاشم الغانمي، دور علماء الدين الشيعة بأحداث العراق السياسية: الثورة العراقية الكبرى 1920، كلية التربية، جامعة المدن وثورة العشرين في كتابات المؤرخين).

أولى العديد من المؤرخين أهمية خاصة لمدنهم في تغطية أخبار الثورة ومن أبرز تلك الكتب: (محمود العبطة، بغداد وثورة العشرين، بغداد، 1977، قاسم عبد الهادي، بغداد في ثورة العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي، عبد الله حميد العتابي، دور البغداديين في ثورة العشرين، بحث منشور في مجلة الآثار والتراث، جامعة بغداد، كلية الآداب، كامل سلمان الجبوري، النجف الأشراف والثورة العراقية الكبرى 1920: حقائق ومذكرات من تاريخ العراق السياسي لن ينشر بعضها من قبل، بيروت، 2005، محمد صادق بحر العلوم، دور النجف في الثورة العراقية الكبرى عام 1920، كامل سلمان الجبوري، الكوفة في ثورة العشرين، مطبعة العاني، 1972، سلمان هادي آل طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، بيروت، 2000، كمال مظهر أحمد، دور الشعب الكردي في ثورة العشرين، بغداد، 1978، ستار نوري العبودي، دور الحليين في الثورة العراقية سنة 1920، مجلة مركز بابل، د.عبدالله كاظم عبد ومحمد حسين زبون الساعدي، أهالي لواء العمارة وثورة عام 1920: دراسة في ضوء نظرية التحدي والاستجابة، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، كانون الأول، 2009، علي عباس، زعيم الثورة العراقية، بغداد، 1950

كتب المذكرات

تعدُّ المذكرات مرجعاً أصيلاً للكتابة التاريخية، لا سيما إذا ما عرفنا أنَّ كاتب تلك المذكرات عاصر تلك الأحداث وأسهم بها. وأبرز تلك الكتب: (محسن أبو طيبخ، على هامش الثورة العراقية الكبرى، بغداد، 1953، تحسين العسكري، مذكراتي عن الثورة العربية والثورة العراقية، النجف، 1938، محمد مهدي كبه، مذكراتي في صميم الأحداث 1918 - 1948، بيروت 1965، علي الباركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد 1954، محمد علي

البصير وأحداث الثورة العراقية الكبرى

د. نجاح هادي كبه



لُقّب محمد مهدي البصير بلقب شاعر ثورة العشرين بامتياز، لأنه الشاعر الوحيد الذي مهد للثورة "قبل وبعد" وكانت قصائده تفعل في نفوس العراقيين فعل السحر فتثير فيها عواطف النخوة والغيرة على وطن محتل وقد حفظت قصيدته "لبيك أيها الوطن" شفاهاً في كل أندية بغداد ومحافلها وطارَت إلى المَدن جميعها ترد في التظاهرات واجتماعات التنديد، يقول فيها:
ان ضاق يا وطني عليّ فضاكا أفلتتسع بي إلى
الأمام خطاك
أجرى ثراك دمي فإن أنا خنته فليبتدني ان ثويت
ثراكا

بك همت بل بالموت دونك في روجي فداك متى
أكون فداك
لقد أصاب البصير الألم والحسرة حين لم تحقق ثورة العشرين طموح الشعب العراقي بما كان يطالب الإنكليز، وزاد ألمه وحسرتة حين رأى بأم عينيه ان لا مفر من مهادنة الإنكليز لأخذ استقلال العراق كاملاً.

فاعتزل البصير السياسة في بداية سنة 1930م بعد ان تهيأت له الفرصة للسفر خارج الوطن لإكمال دراسته إضافة إلى أنه يرى بعد عقد كامل من النضال ان الذين عمل معهم كانوا يسعون في حقيقة حالهم لتحقيق أمانيتهم واستلام مناصب الدولة، فمتى ما تحقق لهم ما يريدون؟ انقلبوا على مبادئهم.

لقد تحول البصير بسبب أوضاع وطنه المؤلمة إلى شعلة من الوطنية خطيباً وشاعراً وسياسياً ومؤلفاً، فقد وثق أحداث الثورة العراقية الكبرى بكتاب ضخّم بجزيّين، وذكر منعم حميد حسن هذا الكتاب على أهميته نادر ولا يصل إليه طالبه بسهولة لأنه لم يطبع إلا طبعته الأولى. ويقع في جزأين. وقد طبع الجزء الأول منه في سنة 1923م والجزء الثاني في سنة 1924م بمطبعة الفلاح ببغداد وعدد صفحاته 609. حسن، 1980م، ص: 77.

يبدو ان هذا المؤلف بصمة دالة على وطنية البصير، لأنه دون الحالة الجهادية للثورة وقرن العمل بالعلم لأنهما سلاحان لا ينفصلان، لاسيما

أمثال: محمد علي اليعقوبي ومعروف الرصافي والشيخ علي الشرقي وسواهم، وما شدني إلى هذا الكتاب ما ذكره البصير عن القائد الإنكليزي "هولدن" في ثورة العشرين، وما أبدعه قلم البصير في وصف قابليات الثوار العسكرية على الرغم من الظروف الموضوعية التي كان يمر بها العراق، قال البصير: في منطقة الرميثة لاحظت ان الثوار يحفرون الخنادق شمالي غربي البلدة ويبدلون العملة على صورة منظمة... ويوثق البصير حنكة الثوار العسكرية أيضاً: وكان الثوار قد تحصنوا بترعة يابسة حفرت فيها الخنادق وعلى جوانبها القرى الأمر الذي لم يبق للقواد الإنكليز شكاً بأن ضباط الترك هم الذين كانوا يتولون قيادة الثورة، وكان عدد الثوار لا يقل عن خمسة آلاف مقاتل، وشرع قائد الحملة "كوننغام" بإطلاق النار في 1/20 ساعة بعد الظهر من يوم 19 تموز واشترك في القتال ثلاثة أفواج، وعلى الرغم من كثرة جنود هذه النجدة، فانها لم تتمكن من ان تزحزح الثوار عن مراكزهم، مع ان القتال قد استمر ثلاث ساعات ونصف ساعة، وبعد قليل وصلت فرقة "الكركا" مجهزة بمدافع ميدانية وحظيرة رشاشات وعلى الرغم ما أبدته من البسالة والاستماتة فانها لم تفلح... لأن العرب قد أخلوا الخنادق ليلاً بعد ان دافعوا عنها النهار طوله وكان الانسحاب منها ليلاً... وأطرى "هولدن" على بسالة الثوار ومهارتهم، قال انهم كانوا يظهرن كل الحنق باختيار الزمان والمكان للقيام بحركاتهم الحربية، وانهم كانوا أولي براعة فائقة باقتلاع السكك الحديدية، وبقطع طريق سير الجنود ومنعهم من الماء، وانهم كانوا عارفين بمواضع الضعف والخلل في الوحدات العسكرية البريطانية وحيث ان ذخائرهم الحربية كانت قليلة، فانهم لم يكونوا ليلطقوا بندقية واحدة إلا وهم واثقون من إصابة المرمى، وقد أظهروا كل الحرزم والعزم في تعقب القوة المتراجعة... ويضيف القائد هولدن ان هذه المزايا تدل كل الدلالة على مهارة ضباطهم العجيبة ومقدرتهم الفائقة الفصل التاسع، ص: 208-210.

يفقد البصير مسألة اشترك ضباط ترك في الثورة بقوله:
ان العرب الثائرين قد مارسوا الحروب فيما بينهم ومارسوها في اشتباكاتهم مع الحكومة العثمانية، وهم أنكياء جداً، فحصلوا على هذه الخبرة العملية في الحرب بذكاؤهم وفطنتهم قبل كل شيء وبالمارسة الطويلة للحرب المختلفة ص: 211. والحقيقة كما تتراءى لي ان عرب الرميثة ومنهم قبيلة بني حجين من الطوالم وسواهم ليسوا ببعيدين عن تراثهم العسكري العربي الحضاري... فهم على صلة وثيقة به من طريق احتكاك رجال الثورة بقوادهم في النجف وكربلاء، ومعلوم ان قواد الثورة كانت لهم ثقافة عامة وأخرى عسكرية تاريخية مثل إمامهم بطولات الرسول؟ والإمام علي؟ في معاركهما ضد البغي والعدوان والتسلط، ولابد انهم قد أفادوا تجربة من تلك المعارك وخطتها. وكان لرجال الفكر في بغداد والنجف وكربلاء والحلة دورهم في ذلك لاسيما في بغداد ممن عرفوا بالوطنية والقومية من أعضاء الجمعيات والأحزاب السياسية آنذاك فتقافة الثوار امتداد للإشعاع الحضاري العسكري والعلمي الذي تميزت به الأمة العربية والإسلامية بادية ومدينة عبر العصور.

قال البصير: ونحن لانكر ان فريقاً من الضباط المنتسبين للجمعيات في بغداد حاربوا في بعض مناطق الثورة إلا أن الوقائع المذكورة لم تقع باشتراك أحدهم فيها البتة ص: 210.

الإنكليزي للعراق وقيام ثورة العشرين ومشاركة الضباط العراقيين للثورة الشريفة في الحجاز وغيرها.

يظهر البصير أراءه الوطنية والقومية بصوت عربي فيسمى الثوار العراقيين بالثوار العرب مثل غيره من شعراء تلك الحقبة وخطبائها،



علي الوردي وثورة العشرين



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

فخرى ربيع

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الإلكتروني
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون

«ونحن إذ ندرس التاريخ، نريد أن نجعله وسيلة لتثقيف الناس، وسبيلاً لمساعتهم على فهم ما يعانون من مشاكل راهنة. وعى الوردي وبعمق وواضح مدى أهمية التاريخ في دراسة وتحليل المجتمع العراقي المعاصر، لذا أولى اهتماماً خاصاً بتاريخه الحديث لما له من صلة مباشرة في تطورات المعاصرة، ففي كنف احقابه الحديثة عاش سكان الرافدين واحدة من اسوء مراحل تاريخهم، حيث استبدادية الاحتلال العثماني من جهة، وتعرض البلاد لاعتى موجات بدوية اجتاحت ربوعه مع ما تحمله من افرازات وتدايعات من جهة أخرى، وتراجع حاضره العلم والمعرفة مدنه الزاهرة في الماضي التليد الى نماذج من صور الجهل والقهر من جهة ثالثة، فضلاً عن نقشي الأمراض والأوبئة والفاقة بين عموم السكان فكان لذلك اسوء الأثر على واقعه الاجتماعي.

فلا غرو إذ نجد المجتمع العراقي قد تراجع في ظل ضلالية الاحتلال العثماني، وتحالف مرتكزاته الاساسية الثلاث «الجهل، المرض، الفقر»، تراجعاً مروعاً عن مسار الركب الحضاري المعاصر ومقومات المدنية الحديثة، لتصل محلها مظاهراً وظواهر اجتماعية سلبية، لظالمات كانت مدعاة بؤسه وشقاوته وتعثر مسيرته في التحديث والنهوض.

تناغم مع هذه المعطيات التاريخية وما أفرزته من تداعيات خطيرة على المجتمع، قدم الوردي دراسته القيمة المعنونة «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث»، مؤلفة من ست اجزاء، تناول فيها العديد من صفحات تاريخ البلاد الحديث والمعاصر، انطلاقاً من بدايات الاحتلال العثماني حتى الربع الاول من القرن العشرين، استند في إنجازها على الكثير من المصادر والمراجع، إذ بلغت خمسمائة وسبعة عشر، ما بين كتاب ومخطوط ومجلة، تنوعت مضامينها ومحاورها حيث بلغ مجموع المراجع العراقية الحديثة، مائة وستة وستين مرجعاً، والعربية مائة وأحد عشر، في حين شكلت الأجنبية ما مجموعه مائة وواحد وثلاثين كتاباً، كان منها ثمانية وستون مرجعاً معرباً فقط، ولم تغب المخطوطات والوثائق سواء العراقية منها أو الأجنبية، حيث بلغ مجموعها اربعاً وثلاثين وثيقة، ومخطوط، لتأتي الدوريات المحلية والعربية مكملة لمجموع المصادر والمراجع، فبلغت خمسا واربعين دورية، ولم يفت الوردي ان يضمّن موسوعته هذه العديد من المقابلات الشخصية والاستعانة بشهود العيان، لاسيما بالموضوعات ذات الصلة بالتاريخ المعاصر، فقد بلغ مجموعها ستاً وعشرين مقابلة.

وجاء القسم الثاني، والذي طبع لأول مرة عام 1978، مكملاً لما ابتداءً في القسم الاول حول ثورة العشرين العراقية، مسلطاً الضوء فيه على دور بعض اعيان ورجال العراق، مثل طالب باشا النقيب، في تهدئة الاوضاع واقناع بعض زعماء العشائر في التوقف عن الاستمرار بالثورة. (طالب النقيب 1865-1929): هو السيد طالب بن رجب بن سعيد الرفاعي، ولد ونشأ في البصرة، درس فيها العلوم العقلية والنقلية بالاضافة الى اللغات الأجنبية، كان له دور بارز في الحياة السياسية العراقية اوائل القرن العشرين.

ثم تابع أحداث وتطورات الثورة في عموم البلاد، مستعرضاً انتصاراتها وعوامل اخفاقاتها، وبالتالي ما تمخضت عنه في نهاية المطاف من فرض البريطانيين لسيطرتهم على البلاد مرة أخرى، ومن ثم ارفد هذا القسم ستة ملاحق، تعلقت مضامينها بأحداث انتفاضة النجف الاشراف عام 1918 ضد الاحتلال البريطاني واصداء ذلك في مختلف انحاء البلاد، لما تحتله المدينة من مكانة وقدسية لدى جزء حيوي من سكان العراق.

في حين عالج بالملحق الثاني رؤى وتحليلات المدرسة الماركسية عن ثورة العشرين، متمثلة بكتاب المستشرق السوفيتي كوتلوف، فمندا العديد من اسس أطروحاته، عاداً اياها «قارئاً واهية» على حد تعبيره، في حين عالج في الملاحق المتبقية مضامين واسس الايدولوجية الماركسية، لاسيما المادية التاريخية، والموقف من الدين، فضلاً عن طروحاتها حول تطورات المجتمع الانساني.

عن رسالة (علي الوردي جهوده الفكرية وأراؤه الإصلاحية دراسة تاريخية)

«ونحن إذ ندرس التاريخ، نريد أن نجعله وسيلة لتثقيف الناس، وسبيلاً لمساعتهم على فهم ما يعانون من مشاكل راهنة.

عنى الوردي وبعمق وواضح مدى أهمية التاريخ في دراسة وتحليل المجتمع العراقي المعاصر، لذا أولى اهتماماً خاصاً بتاريخه الحديث لما له من صلة مباشرة في تطورات المعاصرة، ففي كنف احقابه الحديثة عاش سكان الرافدين واحدة من اسوء مراحل تاريخهم، حيث استبدادية الاحتلال العثماني من جهة، وتعرض البلاد لاعتى موجات بدوية اجتاحت ربوعه مع ما تحمله من افرازات وتدايعات من جهة أخرى، وتراجع حاضره العلم والمعرفة مدنه الزاهرة في الماضي التليد الى نماذج من صور الجهل والقهر من جهة ثالثة، فضلاً عن نقشي الأمراض والأوبئة والفاقة بين عموم السكان فكان لذلك اسوء الأثر على واقعه الاجتماعي.

فلا غرو إذ نجد المجتمع العراقي قد تراجع في ظل ضلالية الاحتلال العثماني، وتحالف مرتكزاته الاساسية الثلاث «الجهل، المرض، الفقر»، تراجعاً مروعاً عن مسار الركب الحضاري المعاصر ومقومات المدنية الحديثة، لتصل محلها مظاهراً وظواهر اجتماعية سلبية، لظالمات كانت مدعاة بؤسه وشقاوته وتعثر مسيرته في التحديث والنهوض.

تناغم مع هذه المعطيات التاريخية وما أفرزته من تداعيات خطيرة على المجتمع، قدم الوردي دراسته القيمة المعنونة «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث»، مؤلفة من ست اجزاء، تناول فيها العديد من صفحات تاريخ البلاد الحديث والمعاصر، انطلاقاً من بدايات الاحتلال العثماني حتى الربع الاول من القرن العشرين، استند في إنجازها على الكثير من المصادر والمراجع، إذ بلغت خمسمائة وسبعة عشر، ما بين كتاب ومخطوط ومجلة، تنوعت مضامينها ومحاورها حيث بلغ مجموع المراجع العراقية الحديثة، مائة وستة وستين مرجعاً، والعربية مائة وأحد عشر، في حين شكلت الأجنبية ما مجموعه مائة وواحد وثلاثين كتاباً، كان منها ثمانية وستون مرجعاً معرباً فقط، ولم تغب المخطوطات والوثائق سواء العراقية منها أو الأجنبية، حيث بلغ مجموعها اربعاً وثلاثين وثيقة، ومخطوط، لتأتي الدوريات المحلية والعربية مكملة لمجموع المصادر والمراجع، فبلغت خمسا واربعين دورية، ولم يفت الوردي ان يضمّن موسوعته هذه العديد من المقابلات الشخصية والاستعانة بشهود العيان، لاسيما بالموضوعات ذات الصلة بالتاريخ المعاصر، فقد بلغ مجموعها ستاً وعشرين مقابلة.

اما الجزء الخامس، فقد قسمه الوردي الى قسمين، طبع القسم الاول منه وللمرة الاولى في عام 1977، تناول فيه أحداث ثورة العشرين في العراق، مبتدئاً بالاسباب والعوامل التي ادت الى قيامها، موضعاً دور تركيبة

د. علي طاهر تركي



ان تخصص علي الوردي اكاديمياً بعلم الاجتماع اولا، ومحاولاته في التوصل الى تحديد رؤى، واثبات فرضيات خاصة باشكاليات المجتمع العراقي ثانياً، دفعاه الى دراسة تطورات، والعوامل المؤثرة به بصورة معمقة وتحليلية، مما تحتم عليه اللجوء في دراساته الى سير اغوار تاريخ العراق الحديث والمعاصر على وجه الخصوص، وتاريخ البلاد العربية والاقليمية، لما لها من علاقات مباشرة وغير مباشرة بتاريخ العراق عموماً، فالتاريخ وسيلة في الوقوف على طبيعة تكوين شخصية الفرد العراقي وبالتالي سلوكياته من جهة، ومن ثمة الظواهر والمظاهر الاجتماعية واسبابها من جهة أخرى.



لقد التمس في دراسته للتاريخ منهجاً خاصاً به، يختلف عن سبقه او عاصره من المؤرخين اكاديميين او غير اكاديميين، لان المؤرخ عادة يدرس الاحداث التاريخية لذاتها، اما الوردي فقد درس التاريخ للحصول على فهم اكبر للمجتمع العراقي، معززاً به فرضياته الاجتماعية، ملتصقاً لها سندا تاريخياً مستمد من واقع الاحداث، يثبت به ما توصل اليه من استنتاجات، فقد كتب ما نصه: «عند دراستي للمجتمع العراقي، ادركت اني لا استطيع ان افهم المجتمع في وضعه الراهن، ما لم افهم الاحداث التي مرت به في عهده الماضية، فكل حدث من تلك الاحداث، لابد ان يكون له شيء من التأثير قليلاً أو كثيراً في سلوك الناس وفي تفكيرهم».

فلا غرو إذ وجدناه في غير موضع من مواضع كتاباته، مشدداً ومؤكداً على أهمية دراسة التاريخ، والوقوف عند رواياته، ليس لاستسقاء معارف وتجارب الماضين وحسب، انما استنباط ادلة تاريخية متنوعة لتفسير رواقد بناء «العقل الجمعي»، وما ينجم عنه من انفعالات، تنعكس بصورة سلوكيات وافعال عامة، تتخذ في بعض الاحيان شكل «ظواهر»، تحتاج الى دراسة وتقويم، لا غنى للتاريخ عنها، ومن هذا المنطلق كتب ما نصه:

الشاعر الذي ألهم الشعب في جامع الحيدرخانة صورة ناصعة من الوحدة الوطنية في ثورة العشرين

حيدر كامل العبادي



عد شارع الرشيد من الأماكن الرئيسية التي كانت موقعا لكثير من الاحداث التي حدثت في العراق، ومنها ذات العلاقة بالعملية السياسية، التي كان لها أثر في الحركة الوطنية العراقية والتاريخ العراقي الحديث والمعاصر، ابتداء باستعراض الجيش البريطاني عند احتلاله بغداد عام 1917، ومن ثم دوره في ثورة العشرين وما تلاها من اجتماعات وتظاهرات، ومن ذلك حزب حرس الاستقلال الذي أسس عام 1919، بعد أن شعر الوطنيون في بغداد والبصرة بضرورة تأليف جمعية سياسية سرية تأخذ على عاتقها خدمة قضية البلاد الوطنية وانقاذه من براثن الاحتلال البريطاني، واتخذ أعضاؤه من مدرسة التفيض الاهلية في (محلة العاقولية) مقراً له.



أدى الحزب دوراً كبيراً في إثارة الجماهير في بغداد، وإقامته حفلات المواليد في هذا الجانب، فضلاً عن دوره بالاتصال بالسيادة العلماء ورؤساء القبائل في الألية الأخرى لتوحيد الصفوف لمجابهة سلطات الاحتلال البريطاني والوقف أمام سياسته الاستعمارية، وبعد أن شعرت سلطات الاحتلال بأن الحركة الوطنية وصلت إلى ذروتها، أمرت بمنع الحفلات الخطابية، واصدرت أمراً بالقبض على قادة الحزب، مما دفعهم للهروب الى الفرات الاوسط للإلتحاق بثورة العشرين على أثر ذلك توقف نشاط الحزب.

ظهرت بوادر الحركة الوطنية لثورة العشرين في بغداد بتأثير الطبقة المثقفة، وإذا ذكر تحفز بغداد وروحها الوطنية في أثناء تلك الثورة يتبادر للذهن جامع الحيدرخانة فقد كان مركزاً للثورة فيها، إذ شهد إقامة حفلات المواليد النبوية التي نظمها حزب حرس الاستقلال ليلهبوا بها مشاعر الناس، والتي حضرها العديد من العلماء والوطنيين وعمامة الشعب بطوائفهم



تفرقنا شعوباً وإختلفنا
فأصبحنا جميعاً صاغرينا
وأسلمنا بأجمعنا لقوم
بغاة من طغاة جائرينا.

وعلى إثرها القي عليه القبض من قبل القوات البريطانية وأبعدته إلى مدينة البصرة مما أغضب الجماهير فأغلقت المخازن والحوانيت في شارع الرشيد استنكاراً لأبعاده وعد هذا الأمر أول تعد من قوات الاحتلال، فاجتمع الغاضبون بحشود كبيرة في جامع الحيدرخانة بعد سماع الأهالي بالخبر من بعض الأشخاص الذين نادوا بالمقاها والاسواق والتجمعات العامة بما لفظوه: "شنو كعدتكم وعيسى حبسوه كوموا إجتماع إسلامي عمومي في جامع الحيدرخانة".

انطلقت الجماهير إلى الجامع، وألقى أحدهم خطاباً وطنياً حماسياً طلب فيه أن ينتخبوا خمسة عشر مندوباً وذلك ما تم بالفعل (أختير كلاً من: محمد جعفر أبو التمن، والسيد أبو القاسم الكاشاني، والشيخ أحمد الظاهر، والسيد محمد الصدر، والسيد عبد الكريم السيد حيدر، ويوسف أفندي السويدي، وفؤاد الدفترى، وعبد الوهاب النائب، وسعيد النقشبندى، والسيد محمد مصطفى الخليل، ورفعت الجادرجي، وعلي البارزكان، واحمد الشيخ داود، وعبد الرحمن الحيدري، وباسين الخضيري)، ثم جاءت قوه من البوليس البريطاني متكوّنة من سيارتين مصفحتين، وما أن وصلت إلى مكان التجمهر حتى بدأت الجماهير الغاضبة ترشقها بالحجارة فرددت تلك القوة باطلاق النار على المتظاهرين أمام الجامع وقتل النجار عبد الكريم الاخرس دهسا بسيارة الحاكم السياسي والعسكري بلفور (Balfour)، وحمل المتظاهرون جثمانه إلى المستشفى، وعندما علمت السلطات بذلك أخذت الجثمان ووضعته في خان (دلة) الذي اتخذته مقراً لمديرية الامن البريطاني، الأمر الذي دفع بالجماهير الى التظاهر في 26 ايار 1920 وامتألاً شارع الرشيد والاسواق المؤدية إلى خان دلة وسراي الحكومة وهتفت بسقوط الاستعمار.

ومن مظاهر الوحدة بين أبناء الشعب العراقي التي شهدتها شارع الرشيد في تلك الأيام، ما أشيع بين سكان مدينة بغداد من أن سلطات الاحتلال كانت تسعى للتفريق بينهم وأعدوا الفرصة لذلك في يوم (عيد الجسد) المقدس لدى الطائفة المسيحية، عن طريق جلبهم لعدد من الأشخاص من خادمي أفكارهم ويلبسوهم ثياب العلماء الإسلاميين ودهم مع المتفرجين وعندما يمر المحتفلون في الشارع يقوم هؤلاء بأطلاق الرصاص عليهم، مما دفع بالكثير من المسيحيين إلى مطالبة أبناء الكنائس باقتتار احتفالاتهم في الكنائس فقط، وعندما سمع المسلمون بذلك قام البعض منهم في السادس من حزيران 1920 بالتوجه بجموع غفيرة الى كنيسة الكلدان في محلة (رأس القرية) وشاركوا اخوانهم المسيحيين بالاحتفال، فيما انتشر قسم منهم على طرفي الشارع حاملين الورود مستقبليين مواكب الاحتفال.

عن رسالة (شارع الرشيد 1916-1959، دراسة تاريخية)

(عليه السلام)، إذ كان من أشهر خطابها لزيادة حماس الناس فيما كان يقرأ وينشد من القصائد الحماسية التي نظمها حتى سمي بـ(خطيب الثورة) و(ميرابو الثورة) وكان معه العديد من الشعراء (ومن الشعراء الذين شاركوا بالاجتماعات عبد الرزاق الهاشمي، وتوفيق المختار، وعمّان الموصلي، وعبد الرحمن البناء، ومحمد عبد الحسين. وكانت قصيدة البصير الأقوى دويماً والأعلى رينياً والأكثر خلوداً، تلك التي ألقاها في الحفل الذي أقيم في جامع الاحمدية قبيل إعلان الثورة، التي حركت الجماهير وقتها ودفعتها للتظاهر ضد المحتل، التي مازال العراقيون حتى اليوم معجبين بها ويرددونها ويحفظونها لما ضمت من قوة العاطفة وجمال التصوير وروعة التعبير، نورد بعض من أبياتها:

ان ضاق يا وطني علي فضاكا

فلتتسع بي للأمام خطاكا

بك همت بل بالموت دونك في

الوغي روحي فداك متى اكون فداكا

ومتى حبسك للمشائق أرتقي

كي ترتقي بعدي عروش علاكا.

في 24 حزيران 1920 أقيمت تظاهرة كبرى في جامع الحيدرخانة ألقى فيها الشاعر عيسى عبد القادر خطبة، اتبعتها بقصيدة دعا فيها الى تضامن العراقيين ولم الشمل، وهاجم فيها البريطانيين جاء في بعض منها:

بني النهري نسل الطيبينا

أفيقوا واسمعوا حقاً يقينا

المختلفة، فضلاً عن الشعراء والخطباء الذين ينشدون أشعارهم لبث الحماس في النفوس، وأقيمت أول تلك الحفلات للمولد النبوي في بغداد في شهر ربيع الأول عام 1920، وكان الإقبال عليها قليلاً لعدم معرفة الناس الغاية التي أقيمت من أجلها، ثم بدأت الجماهير تتوافد بأعداد كبيرة في الحفلات الأخرى، واتفق أهالي بغداد على أن تقام تلك الحفلات كل أسبوع في محلة وتكون نفقة الاحتفال على ساكنيها.

ذكر موسى الشايندر: "ذهبت أكثر من مرة إلى المواليد التي كانت تقام في الجوامع وتذكر الحماس الذي وجدته عند الجماهير وشعرت به في جامع الحيدر خانة وجامع الامام موسى الكاظم (ع)". وكان لها تأثيراً كبيراً من الناحية الاجتماعية، إذ زادت التقارب بين أبناء الشعب، فقد نظمت حفلات المولد النبوي ومجالس التعزية الحسينية في مساجد السنة والشيعة على التعاقب- الأمر الذي لم يشهد في بغداد مثيل له من قبل، وفيها رفع علم الثورة العربية وكان بطول مترين بألوانه الأربعة التي اقتبست من قصيدة صفي الدين الحلي:

بيض صناعتنا سود وقائعنا

خضر مرابعنا حمر مواضينا.

أصبحت تلك الاحتفالات فرحة عظيمة بالنسبة للبغداديين المتذمرين من الاحتلال البريطاني بما يسمونه من الخطب الوطنية الحماسية التي تندد بالاحتلال وتجاهر بطردهم، وكان محمد مهدي البصير من أبرز الدعاة إلى الثورة العراقية الذي اتخذ من مأتم الامام الحسين

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

